فى التاريخ القديم فى جميع ميادين العقل والمنطق والخيال . . وإنما قصد هذا الحوار إلى أن يضع البراهين والدلائل التى استند إليها الدكتور زكى مبارك فى ميزان النقد ، فلم يرها صامدة ترجح بالكفة التى تثبت وجود الثقافة المدونة المكتوبة ، أو وجود الكتب الأدبية والمؤلفات النثرية .

وإذا ما انتقل النظر إلى الكفة الأخرى فى الميزان وجد أنها ترجح بغير ما أراد الدكتور زكى مبارك أن يبرهن عليه . واستند الرأى من خلال هذا الحوار على نصوص تقطع بأن العرب فى الجاهلية لم يملكوا قدرة ما على الكتابة الأدبية والتأليف .

ويمضى الحوار بعد ذلك ليرى غير ما تراءى للدكتور زكى مبارك مما يمكن أن ترسم به اللوحة الكبرى التى بدت له عن نهضة شاملة لعرب الجاهلية فى مجالات العلم والأدب والسياسة والأخلاق والاجتماع والفلسفة . ومن جوانب هذه اللوحة ما أراد الباحث أن يرسمه فيها عن نشأة العلوم الأدبية كالنحو والعروض والبديع عند الجاهليين ، وذلك من أجل أن ينفى نشأة ذلك كله بسبب اتصال العرب بالفرس واليونان بعد ذلك . وقد أراد الحوار أن يؤكد ما بدا للرأى أنه صحيح ، وأن يبين أن النهضة الشاملة التى يصورها الدكتور زكى مبارك لم تكن إلا بعد الاستقرار الذى أعقب عصر الفتوح الإسلامية . وأما الذى كان قبل الإسلام ، فقد كان إرهاصاً لا يصح أن يستقيم نهضة شاملة . أما أن يكون الإسلام تاجاً لها ، فقد كان الإسلام — على نحو ما ذكرنا فى ذلك الموضع من البحث — عاملا جوهرياً لها ، باعثاً قوياً عليها ، تندفع به نحو ما اندفعت إليه من قوة وتقدم ونهوض . وعلى ذلك فان نشأة أكثر العلوم العربية كانت من أثر القرآن الكريم ، وبذلك ترد صورة النهضة الثقافية فى العصر الجاهلى إلى الحجم الذى ينبغى أن تكون فيه .

وفيما يتصل بحجم هذه الصورة أيضاً ما يتصل بقدرة الجاهليين على كتابة الرسائل الفنية ، وذلك متابعة للطريق الذى سار فيه النثر العربى ، ومحاولة تحديد هذا المسار من خلال ذلك الحوار ، ثم استشفاف رؤية الحركة الأدبية